ومقتضيات الامن الداخلي والخارجي في اسرائيل اخذت بعدا مبالغا به . ولم تعد آثارها لتقف عند حدود تحقيق الوحدة الداخلية ، بل اتسعت حتى خلقت مجتمعا عاش على القلق وتوقع الحرب ، وافرز جيلا فاشيا يقدس العدوان والعنف ، ويحتقر كل القيم والحضارات ويعيش داخل « غيتو مادي ومعنوي »(٧) يعزله عزلا مطلقا عما حوله . ويلاحظ المدقق في خطابات الزعماء السياسيين والعسكريين الاسرائيليين وتصريحاتهم وتوجيهاتهم الى المواطنين واوامرهم اليومية الى الجنود نغمة التأكيد على ضرورة الدفاع عن الوطن و « احباط محاولات الجيوش العربية الراغبة باحتلال اسرائيل وتدميرها » ، و « فك الحلقة المطبقة على اسرائيل » ، و « صد العدوان الرامي الى تدمير البلاد » ... الخ .

ولكن ترى متى كانت اسرائيل معرضة لخطر الابادة والدمار ؟ ان ابادة دولة ما بالمعنى المادي للتصفية امر متعذر في عالمنا المعاصر . والخطر الاقصى الذي يمكن ان تتعرض له أية دولة هو تدمير قواتها المسلحة ، وتجريدها من درعها ، واجبارها على تقديم تنازلات سياسية واقليمية تختلف باختلاف حجم الهزيمة العسكرية وحجم الجهد والتضحيات الاضافية التي يعتقد الخصم المنتصر أن عليه ان يقدمها اذا ما شاء المطالبة بتنازلات اكبر ، واستعداده للاشتراك بمعارك جديدة لتحقيق ذلك . ولا يمكن تدمير القوات المسلحة للدولة الا اذا امتلك الخصم تفوقا ماديا ومعنويا ، واستغل ظرفا دوليا مناسبا لتسديد الضربة وتحقيق النصر العسكري الذي يترجم خلال مباحثات السلام الى نصر سياسي . فمتى اجتمعت كل هذه المعطيات منذ بدء الصراع العربي ـ الاسرائيلي حتى اليوم ؟

في عام ١٩٤٨ كان ميزان القوى المادية متوازنا . وهناك تقديرات تؤكد ميل الميزان آنذاك لصالح القوات الاسرائيلية . وتقديرات معاكسة تؤكد ميله لصالح الجيوش العربية . ولكن الميل حسب التقديرين لم يكن كافيا لتحقيق الحسم السريع قبل تدخل المجتمع الدولي ، وفرض الهدنتين ، ثم فرض مباحثات رودس . وفي حديث لبن غوريون مع صحيفة معاريف عن حرب ١٩٤٨ سئل بن غوريون : «هل خفت من ان نهزم ؟» فاجاب: « كنت واثقا من النصر . كانت لدي معلومات »(٨) . وفي عام ١٩٥٠ جاء التعهد الامريكي ـ البريطاني ـ الفرنسي ليضمن امن اسرائيل وحدودها . وفي الفترة ما بين ١٩٥٠ و ١٩٥٥ ، وعندما كانت مفاتيح التسليح العربي بيد الغرب اعلنت الدول الاستعمارية المتقدمة عن رغبتها بالحفاظ على الوضع الراهن في الشرق الاوسط عن طريق تزويد اسرائيل باسلحة تعادل اسلحة الدول العربية المتاخمة لفلسطين او تفوقها . وكانت كافة المحاولات العربية لشراء الاسلحة من الغرب في تلك الفترة ـ تماما كالمحاولات التي تجري اليوم ـ دليلا على نقص في وضوح الرؤيا ، وخلل في فهم طبيعة الاستراتيجية الامبريالية وارتباطاتها ، وسيطرة الوهم على امكانية الافادة من مساعدة الغرب الامبريالي دون تهديد مصالحه بجدية ـ هذا الوهم الذي لم يتبدد كليا حتى اليوم رغم جميع الدروس . وعندما حطم الغرب حصار السلاح ، وفتحوا الباب لاسلحة دول الكتلة الشرقية ، فتحت الدول الاوروبية مخازنها لاسرائيل ، ومتنت التحالف معها ، واعادت التوازن .

وفي حرب ١٩٥٦ كانت القوات الاسرائيلية ، وقوات فيلق الغزو الانكلو ـ فرنسي ، وقوات فرنسا وبريطانيا البحرية ـ الجوية العاملة في شرق البحر الابيض المتوسط اكبر من القوى العربية (المصرية والسورية والاردنية) المستعدة للاشتباك في المعركة . ومن عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٧ استطاعت الامبريالية والرجعية اجهاض اول وحدة رأت النور ، وكان من الممكن ان تلعب دور نواة تجمع عربي اكبر يشكل خطرا على اسرائيل . وبالرغم من السلاح السوفييتي الذي تدفق الى الجيشين السوري والمصري قبل الوحدة